

دور الجامعات العربية في تعزيز حوار الحضارات The role of Arab universities in promoting dialogue among civilizations

د.البشير التجاني محمد الشايب

جامعة بخت الرضا

Dr Al Basheer Al Tigani Mohammed Al Shayeb
Bakht Arridha University

الخلاصة

يهدف هذا البحث إلى بيان دور الجامعات العربية في تعزيز حوار الحضارات باعتباره من مرتكزات التاريخ البشري، وأحد أهم متطلبات الحياة المعاصرة. إن هدف الجامعات العربية من صياغة العقل البشري، وصناعة المعرفة، وخدمة المجتمع. إن تنوع طبائع أعمالها يؤهلها للقيام بهذا الدور أكثر من غيرها من المراكز العلمية والبحثية الأخرى.

ABSTRACT

This paper is on what role Arab universities are to play in consolidating dialogue among civilizations, which is one of the most important fundamentals of human history and contemporary life requirements.

The objective of Arab universities is to mould human minds, produce knowledge and serve their societies. The diversity in the nature of their functions,

qualifies them to play their specified roles more efficiently than any other scientific and research centres.

0. المقدمة

يُعدّ حوار الحضارات أحد أهم المُعضلات التي تجابه الباحثين والمُفكرين اليوم، ولقد استقر الرأي على مفهوم الحوار بين الحضارات بعد رفض فكرة الصدام بينها. أثارت فكرة الصدام بين الحضارات بعض المفكرين في العقد الأخير من القرن العشرين.

تعددت وسائل الحوار وقنواته ومراكزه، إلا أن الجامعات تُعدّ من أهم مراكز حوار الحضارات وقنوات دفعه إلى الأمام، لما تتمتع به من أهلية للقيام بهذا الدور. وعليه فالسؤال المحوري لهذا البحث هو كيف يمكن للجامعات أن تُعزّز من دورها في إثراء حوار الحضارات؟ وعلى الرغم من إقرار الإسلام لظاهرة الصراع التي غالباً ما تقود إلى الصدام بين الأفراد والجماعات كأحد السُنن الكونية التي تجري على الحياة إلا أنه رَبَطَ الصِّراع بإرادة الإنسان، وأكَّد علي مسؤوليته عنه، الأمر الذي يبين بوضوح رفض الإسلام القول بأن الصراع بين البشر قدر محتوم، بل يرى فيه سنة اجتماعية تقوم بتوافر ظروف معينة.

والإسلام يحظر الصراع بكل مستوياته بدءاً بالبغض والحسد (ولا تباغضوا ولا تحاسدوا) مروراً بالتخويف (لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلماً) وانتهاءً بالقتال أو حتى مجرد تمنيه (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)، (ولا تتمنوا لقاء العدو)، ويطرح الإسلام منهجاً متكاملًا لمحاصرة الصراع من خلال العمل على إضعاف جذوره، والحد من أسبابه ومعالجة حالاته من خلال سياسة تربوية وقائية تعزز روادع الصراع من خلال تزكية النفس، وتطهيرها من دواعي الصراع كالبغض والحسد والطمع والعداوة. كما تعزز كوابح الصراع بتثنية النفس على قبول الاختلاف والتباين واحترام الآخرين، وحفظ الحقوق واللجوء إلى الطرق السلمية في حل الخلافات والنزاعات.

تتوقف فاعلية الحوار في تحقيق الأهداف المرجوة بشكل يشجع البشر على انتهاجه

والالتزام به في تعاملاتهم على مجموعة عوامل أهمها: حسن اختيار الغاية من الحوار، والاتفاق على مرجعيته وتوافر المرونة الكافية لدى الأطراف المتحاورة ومدى مصداقيته العلمية.

لمعرفة هذا الدور لا بد من تحديد معنى مصطلح حوار الحضارات، وبيان أهلية الجامعات لهذا الدور.

1. منهجية البحث

1.1 أهمية البحث

يدخل العالم الألفية الثالثة، وتسوده ثقافة النزاع، ويسيطر عليه اتجاه قوي نحو التكتلات السياسية والاقتصادية، ويظهر جلياً التسويق لمفاهيم وفقاً لرؤى بعينها، كما تصطرح القيم، والموروثات والمعتقدات كقوى أساسية في إعادة تشكيل الحضارات البشرية القائمة، الأمر الذي يوجي بنذر صدام بين هذه الحضارات. لذا فإن هذا البحث يكتسب أهميته من تطرقه لأهمية حوار الحضارات، الخيار الوحيد الذي يناظر مفهوم الصدام كما أنه يتناول أهلية الجامعات عامة، والعربية منها على وجه الخصوص للقيام بهذا الدور، والكيفية التي يمكن أن تُعزز بها الجامعات العربية حوار الحضارات.

2.1 هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

- (أ) التعرف على مفهوم حوار الحضارات وبيان أهميته لحياة الأمم والشعوب.
- (ب) بيان أهلية الجامعات العربية للقيام بدور حوار الحضارات.
- (ج) توضيح أنشطة الجامعات العربية التي يمكن أن تلعب دوراً مهماً في تعزيز حوار الحضارات.

3.1 مشكلة البحث

بالرغم من القبول الذي وجدته مفهوم حوار الحضارات كخيار استراتيجي بدلاً من مفهوم الصراع بينها، إلا أنه يُلاحظ تعثر تطبيق هذا المفهوم في واقع الحضارات البشرية القائمة. لذا يكون السؤال المحوري لهذا البحث هو، لماذا لم يُطبَّق مفهوم حوار الحضارات

كواقع عملي في حضارات الأمم والشعوب الحاضرة بنفس تطبيق المفاهيم الأخرى، سواءً أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية؟ إذ نلاحظ سيطرة ظاهرة الصراع والنزاع بين الجماعات الدينية والإثنية والقبلية، حتى داخل الأفراد في الحضارة الواحدة. ويتجلى ذلك في ظاهرة القتال كأعنف مظاهر الصدام بين أهل الحضارة الواحدة وبين الحضارات المختلفة كما يبدو الآن.

4.1 فرضيات البحث

1.4.1 يرجع عدم تطبيق مفهوم حوار الحضارات في حياة الأمم والشعوب إلى ضعف آليات وسائل الحوار. وفي مقدمتها الجامعات كأكثر المؤسسات العلمية والبحثية أهلية للقيام بهذا الدور.

2.4.1 يؤدي تعدد نشاط الجامعات عامة، والعربية منها على وجه الخصوص، إلى تعزيز مفهوم حوار الحضارات.

لذلك، وقبل الدخول في الموضوع، يمكن أن نُجَزِيَّ السؤال المحوري السابق إلى الأسئلة الفرعية التالية التي تشكل أسئلة البحث وهي:

- (أ) ما معنى حوار الحضارات وما مفهومه؟
- (ب) ما أهمية حوار الحضارات وما أهدافه؟
- (ج) لماذا تعتبر الجامعات عامة، والعربية منها على وجه الخصوص، أكثر أهلية من غيرها من المؤسسات العلمية لتعزيز مفهوم حوار الحضارات؟
- (د) ما الدور الذي يمن أن تلعبه الجامعات العربية في تعزيز مفهوم حوار الحضارات؟

5.1 منهج البحث

لتحقيق أهداف هذا البحث وفرضياته فقد استخدم الباحث المنهج الاستدلالي والوصفي

والتاريخي، واعتمد على الكتب المنهجية والبحوث المنشورة كمصادر لجمع البيانات عن موضوع الدراسة.

2. الجامعات العربية وحوار الحضارات

1.2 حوار الحضارات المعنى والمبنى

مصطلح حوار الحضارات مفهوم مُركَّب من كلمتي الحوار والحضارة. ولدراسته لا بد من تفكيكه وإعادة تركيبه من جديد، وفقاً لمعطيات الواقع المعاصر. ويقتضي تحديد دلالة المصطلح الرجوع إلى جذوره اللغوية وتتبع دلالاتها من مصادرها الأصلية، وتجريد هذه الدلالات، ثم إعادة بنائها.

وبناءً عليه، فالحوار في اللغة من حَوَّر. ولها عدة معانٍ، حيث ورد في لسان العرب حَارَ يَحُور حَوْرًا، والمُحَاوَرَة: المجاورة، والتحاوَر: التجاوب، نقول أحررت له جواباً وما حار بكلمة، والحوار: الجواب يقال: كلمته فما رد لي حوراً أو حويراً، واستحاره أي أستنطقه، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمحاوَرَة: مراجعة المنطق في المخاطبة (ابن منظور ط 1984:216).

والمعنى الاصطلاحى للحوار هو أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كلُّ منهما من الحديث ما يراه ويقنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطق وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره، ولا يشتمل على الخصومة والمنازعة والمراء كما هو في الجدل، إنما هو أداة أسلوبية تُستَخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول العلم والمعرفة، أو جانب من جوانب الفكر والعقيدة للوصول إلى حقيقة معينة.

والحوار عملية تتضمن طرحاً من طرف يتمثله طرف آخر، ويجب عنه، فيحدث تجاوباً يولد عند كل منهما مراجعة ما طرقه الطرف الآخر، وهذه العملية هي التي يطلق عليها الحوار أو المحاورَة. ويعتبر الحوار أكثر نضجاً من الجدل.

أداة الصراع وجوهره التبادل السلمى للأفكار (عبدالستار الهيتي 2004:40). ومن هذا المعنى نجد أن الحوار يقود إلى التفاهم بعكس الجدل الذي يقود إلى التصادم. وبالتفاهم تُسَنُّ القوانين والأعراف ووسائل الضبط الاجتماعى، وتُحدِّد الحقيقة العلمية ويتحقق التراكم المعرفى،

وتبادل الخبرات، وترسيخ الأعراف، وبلورة القيم الخلقية، واكتشاف وسائل التنمية المستدامة، ويتطلب الحوار الناجح تحديد أهداف معينة وذلك لقياس التقدم المحرز (أحمد المفتي 25:2006).

2.2 مفهوم الحضارة

أما كلمة حضارة فقد جاءت في لسان العرب بمعاني عدة: منها الحضور نقيض المغيب والغيبية، وحضر يحضر حضوراً أو حضارة ، وكلمة يحضر فلان، ويحضره أي يشهد منه، كما جاءت بمعنى قرب الشيء، ونقول كنت بحضرة الدار . وبمعنى جاء أو أتى حضرت الصلاة، والحضر خلاف البدو، والحضارة: الإقامة في الحضر، والحضارة: الحي العظيم والحاضر ضد المسافر والحضارة من حضر يحضر، ويحضر الشخص ليعمل مع الآخرين ليتأنس، ويؤنس محيطه. وبذلك يهين الشروط التي توفر الكرامة لديه، فمتحضر كل مجتمع يحترم الكرامة ويجسدها في معاملات أفرادهِ (ابن منظور ط 1984:217).

وفي القرآن الكريم حضر بمعنى شهد كقوله تعالى "وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا" (النساء: 8). والحضارة تراث مشترك بين جميع الشعوب قديمها وحديثها، كما هي إرث إنساني في نمو لا ينقطع مثل البحر الزاخر بالمياه والأمواج، له روافد عديدة تصب فيه على الدوام؛ تلك الروافد هي الثقافات القومية (محمد الحباب 123:1985).

وعلى هذا البناء فإن لفظ حضارة لفظ محايد، لا يعني في ذاته قيمة حسنة أو سيئة، إنما يقدر ذلك باختلاف نموذج الحضارة ومكوناتها.

ويطلق لفظ حضارة على أي نموذج ما إذا تحققت فيه الأبعاد التالية:

(أ) وجود نسق عقدي يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله سلباً أو إيجاباً.

(ب) وجود بناء فكري سلوكي في المجتمع يُشكّل نمط القيم السائدة والأخلاقيات العامة والأعراف.

(ج) وجود نمط مادي يشمل المبتكرات والآلات والمؤسسات والنُظُم والفنون وجميع الأبعاد المادية في الحياة.

(د) تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أيّ المجتمعات الأخرى وأسس للتعامل معها وقواعد وأسلوب إقناعها بهذا النموذج والهدف منه (نصر عارف 1994:61).

لذلك فإن الحضارة هي ثمرة جهود الأفراد والجماعات ومساهماتهم في تطوير الأوضاع الإنسانية عبر العصور.

من التجريد والتركيب السابق نجد أن حوار الحضارات يعني الحوار بين منتمين إلى حضاراتٍ مختلفة سواءً أكان ذلك على المستوى الفردي أو الجماعي، أو الرسمي أو الشعبي، منظماً كان أم غير منظم في أيّ مجال من المجالات، وذلك لهدف موضوعي.

3.2 أهمية حوار الحضارات

يعتبر حوار الحضارات الآن ضرورة إنسانية تملئها طبيعية الحياة التي ترى وجوب الانفتاح على الثقافات الأخرى. ولكن لا بد من ملاحظة ضرورية، هي أن هذا الانفتاح يجب أن يتم وفقاً لسيادة قيم الحق والخير، لما فيها من مقومات أساسية لحياة المجتمعات البشرية، من جانب، ولسعادة هذه المجتمعات من جانب آخر. وبالضرورة يجب أن يكون العدل والمساواة بين الناس هما السند الفكري للقواعد التي تنظم حياة هذه المجتمعات البشرية، الأمر الذي من شأنه أن يبرز الجانب الإيجابي لتيار العولمة.

وتأسيساً على ما سبق، يعتبر حوار الحضارات مشروعاً ناجحاً، إذا أُحسن استثماره يمكن أن يكون له مردود إيجابي متعدد النواحي على حياة الأمم والشعوب. فمن ناحية يُشعر الأمة بموقعها الريادي على الساحة العالمية، وبالمكانة التي يجب أن تتصدرها بين الأمم. ومن ناحية أخرى يرفعها إلى مستوى المسؤوليات الكبرى. وهو أمر ضروري للتخلص من صغائر الأمور والمشاكل التي تبدو مُعقّدة بسبب غياب الأهداف الكبرى السامية.

ويعدُّ حوار الحضارات ملمحاً تاريخياً ممتداً عبر التاريخ البشري، حيث تفيد قراءة التاريخ أن هنالك قدراً من الحوار بين الحضارات البشرية المتعاقبة منها والمتزامنة. يشهد بذلك ويؤكد ما نتج من انتقال وتراكم للخبرة البشرية عبر سلسلة الحضارات المتعاقبة هادفة إلى التعارف، والتواصل والتفاعل الإيجابي بين الشعوب والأمم.

وبهذا المعنى، فإن حوار الحضارات يُفصّد به الحوار الكلامي المنظم بين أتباع حضارات مختلفة لهدف موضوعي. وبالاستقراء العقلي نجد أنه لو لم يكن هنالك حوار بين الحضارات المتعاقبة لتعذر تراكم الخبرة والمعرفة البشرية على النحو الذي حدث، ولربما تعيّن على سائر الحضارات أن تبدأ من الصفر. ولما كانت الحضارات على ما هي عليه من الاستفادة من بعضها البعض، وتشير الكتب السماوية جميعاً وبخاصة القرآن الكريم، الرسالة الخاتمة، إلى اعتماد منهج الحوار كأساس للتعامل، حيث تُبيّن نصوص القرآن الكريم أن علاقة الخالق بمخلوقاته جميعها إنما بدأت وتأسست واستمرت على أساس منهج الحوار، والحوار الإقناعي وحده وبأدواتٍ ووسائل سلمية دون إكراه أو صدام. ومن ذلك حوارته تعالى لكلٍ من الملائكة وإبليس والبشر كما تبينه النصوص التالية:

قال تعالى في حوارته للملائكة: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة: 30)، وفي محاورته لإبليس قال تعالى: "قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" (الحجرات: 32)، "قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" (الحجرات: 33).

وفي خطابه سبحانه وتعالى لسيدنا آدم قال تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة: 35).

ولم تقتصر لغة الحوار بين الله ومخلوقاته على العاقل منها فقط، بل إنه شمل غير العاقل منها، حيث حاور سبحانه وتعالى السماء والأرض حيث قال تعال: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت: 11)، وقال تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" (الأحزاب: 72).

يعتبر حوار الحضارات في العصر الحديث مفهوماً ضرورياً ركّز عليه في الربع الأخير من القرن العشرين المفكر الفرنسي روجيه جارودي في نظريته كمشروع للجمع بين الحضارات المختلفة، على أساس أرضية مشتركة للتفاهم على مستوى شعوب الأرض.

وبرز هذا المصطلح بقوة كرد فعل لمفهوم صدام الحضارات الذي طرحته نظريتنا نهاية التاريخ وخاتم البشر لعالم الاجتماع الأمريكي الياباني الأصل فرانسيس فوكوياما وصدام الحضارات للعالم الأمريكي صمويل هنجنتيون عام 1993 م .

تبنت الأمم المتحدة فكرة حوار الحضارات، فاعتبرت عام 2001م عام حوار الحضارات إيماناً منها بأهمية الموضوع. ولا يزال موضوع حوار الحضارات يتصدر جداول اجتماعات المؤسسات الدولية والبحثية بالحوار والنقاش (www.islammemo 6/9/2007).

4.2 أهداف حوار الحضارات

يهدف حوار الحضارات إلى

- (أ) السعي لإيجاد بيئة دولية سليمة ومستقرة، تقوم على أساس الاحترام المتبادل، والمساواة فيما بين الثقافات والحضارات المختلفة.
- (ب) عدم ازدراء الآخر، أو الحط من شأنه أو تقليل دوره في أيّ شأن من الحياة.
- (ج) الاعتراف بوجود اختلاف وتباين بين الحضارات، والثقافات وهو ما يعكس حقيقة ظروف أيّ حضارة وتطورها.
- (د) الإقرار بأن أيّ حضارة تحمل في داخلها أنساقاً حضارية وثقافية مختلفة، تتباين فيما بينها، مع توكيد ضرورة الاتفاق على الحد الأدنى من القيم

- والسلوكيات التي تشترك فيها مختلف الحضارات والثقافات التي يجب التمسك بها، والالتفاف حولها، ومحاولة تعظيمها، دون التضحية بتمايز كل حضارة أو ثقافة، أو بالأولوية التي يجب أن تُحظى بها قيم الحرية والعدل والمساواة .
- (هـ) تركية العلاقات بين حضارات العالم وثقافته وأديانه، بما يؤمن الحد من الأوجه السلبية لتلك العلاقات وينمي أبعادها الإيجابية.
- (و) توضيح المصالح المشتركة التي تصلح لأن تكون غايات مشتركة لأطراف الحوار، مما يجنب الغايات الخاصة مثل الهيمنة والإقصاء والاختراق، التي لا يمكن أن تساعد في تحقيق غايات حوار الحضارات أو إنجاحه.
- (ز) الحد من خطر زوال اللغات واضمحلال الثقافات بتسارع وتيرة العولمة على نمط معين، الأمر الذي يُزكي مفاهيم التعايش، والاعتراف بالآخر واحترام الغير. وجميعها مفاهيم تدعم غايات حوار الحضارات.

3. أهلية الجامعات العربية لحوار الحضارات

تهيئ الجامعات العربية بيئة طبيعية لحوار بناء، يمكن من خلاله الوصول إلى صيغة علمية في طرح الأفكار وحل المشكلات وتقويم الأداء، الأمر الذي يوفر ما يأتي:

1.3 الحرية الفكرية

بالحرية الفكرية يتحقق لكل طرف سواءً أكانوا أفراداً أم فرقاً علمية، إذ تمثل الجامعة الثقة في شخصية مستقلة، لا تقع تحت تأثير أي إرهاب فكري أو نفسي يشعرها بدونية أمام الطرف الآخر. وذلك لأن مساواة طرفي الحوار كما هو متاح في مختلف منابر الجامعات هي درجة أعلى من مجرد حماية الأطراف المتحاورين. كما توفر الجامعات الفرص المتكافئة لتحقيق بيئة حوارية سليمة ومعافاة. ذلك لأن إشعار المحاور بمساواته بخصمه تبعث في نفسه الطمأنينة، وتدفعه إلى الحوار بدرجة عالية من الثقة بالنفس، بعكس الإرهاب الفكري الذي يفقده الثقة بالنفس والقابلية لأن يكون طرفاً في الحوار والمناقشة، الأمر الذي يربكه ويشتت

أفكاره، ويضطره دائماً للدفاع عن شخصيته الفكرية، وفك أسرها من هيمنة الإرهاب الفكري المصاحب لهذا الحوار.

ولا أدلّ على ذلك مما تمارسه اليوم بعض مؤسسات الحضارة الغربية التي تتبنى الحوار مع الحضارات الأخرى من استعلاء فكري، وإرهاب نفسي، بما تملكه من تقنيات المعرفة وتكنولوجيا الاتصال، وبما لديها من خبراء خاصة في المنظمات الدولية، وسدنة العولمة، وبما تزعمه من نشر لعلميتها المطلقة، تبريراً لموضوعيتها للاستعمار والهيمنة على مصائر الشعوب المختلفة من أجل تحضّرها وتحديثها وغربنتها (حامد عمار 2007: 14 - 28)، الأمر الذي يجعل الحرية الفكرية لحوار بناءً بينهما وبين هذه الحضارة أمراً صعباً، إن لم يكن مستحيلاً كما يرى البعض، إذ ورد في مفكرة الإسلام عن مستقبل حوار الحضارات عن بعض مؤسسات الحوار الغربية ما يلي:

(أ) عند بعض الأطراف المتحاورة - خاصة القريبة منها لمراكز صنع القرار -

تأتي القرارات والتوصيات لتكون في النهاية حبراً على ورق.

(ب) كانت لكثير من المؤتمرات التي عُقدت أجندة سياسية مُسبّقة حيث صرّح

يوسف القرضاوي بأن بعض تلك المؤتمرات الحوارية يتم فيها تحديد مواضيع

الحوار مسبقاً، وغالباً ما يكون عن حرية الردة وكذلك يتم تحديد دعوة

متحاورين بأعينهم من قبل المحاورين الغربيين (www.islammemo)

2007\6\9)، لذا لا نجد أثراً ايجابياً لمعظم المؤتمرات التي عُقدت بشأن

حوار الحضارات.

2.3 الحياد الفكري

تدفع مهنية عمل الجامعات وثقافتها العلمية كلاً من طرفي الحوار إلى أن يتحلى

بحياد فكري، يمنعه من التعصب لوجهة نظر مسبقة، أو التمسك بفكرة معينة، يرفض نقضها

أو مخالفتها. بل هو أكثر من ذلك، إذ يدفع هذا الحياد الفكري كلاً من الطرفين نحو تبادل

الآراء والأفكار مع الطرف الآخر، وتداول الأطروحات وسماع الرأي الآخر، وإن كان مناقضاً

لما يقتنع به.

ويقتضي الحياد الفكري التزام أي من طرفي الحوار المنطقَ السليم أثناء المحاور، والتركيز على مضمون فكرة الحوار، وتوفير بيئة هادئة لتفكير سليم. كما يفترض المنهج العلمي للبحث في المشكلات والذي يعمل به في الجامعات، والذي يقوم على الشك في النتائج قبل الوصول إليها بالدليل، وتساوي فرص وجودها وعدمها أو صحتها وخطئها قبل فحصها والتيقن منها، وهي من مرتكزات الحياد الفكري، كما يفترض تحري الدقة، والأمانة والصواب. بل يتعدى ذلك إلى تفسير الظواهر، والتنبؤ بها، والتحكم فيها، مما يؤدي إلى فهمها وتفسيرها، وكشف العلاقات التي تربط بينها، وتعميم نتائجها على حالات مماثلة الأمر الذي يولد مزيداً من الافكار والآراء التي تقود بدورها إلى حوار بناء يسهم في اتخاذ قرارات صائبة بعيداً عن التأثر بالخبرات المباشرة.

وتُحدد معالم الالتزام هذه في تقديم الأدلة المثبتة والمرجحة لكل فرضية أو دعوة، يقدمها المحاور، وصحة نقل النصوص المنقولة أو المرئية، وهو ما يُمَثِّلُ منهج البحث العلمي الذي تقوم عليه سياسة العملية التعليمية والبحثية في الجامعات.

ويفترض الحياد الفكري تجرد المُحاور من جميع المؤثرات لضمان إنصاف الطرف الآخر، كما تقتضي المحاور المنطقية السليمة أن يتجرد كل طرف أثناء المحاور من كل ما يؤثر على حياده الفكري، فيما يتعلق بموضوع المحاور، ضماناً لقيام حوار بناءً يقود إلى نتائج إيجابية .

3.3 الاستعداد النَّفْسِيَّ للاقتناع بالنتائج

إن المنهجية العلمية والثقافية المهنية التي يقوم عليها عمل الجامعات تهيئ طرفي الحوار لتقبل النتائج التي يؤول إليها الحوار، والاقتناع بها، والاستعداد النفسي لتقبلها، لأن عدم استعداد طرفي الحوار لتقبل النتائج، كما هو سائد في كثير من قنوات الحوار اليوم، يعني وجود فكرة معدة مسبقاً، نتيجة لدوافع ذاتية واجتماعية، لا علاقة لها بالقناعة الفكرية المُرْتَكِزَة على البرهان والدليل كما هو سائد في مناهج الجامعات.

4.3 التزام التخصص

يُتيح التخصصُ التحري الدقيق في المعرفة والتحقق من الفكرة، كما يتيح درجة عالية من الثقة في الهدف أو الأهداف التي يُراد تحقيقها. وكل ذلك من عوامل نجاح الحوار وموضوعيته. ومن المعلوم قيام عمل الجامعات على التخصص الدقيق، مما يكسبها الثقة والصدق في صحة الحوار ونتائجه. لذا، فإن ما توفره الجامعات من بيئة خاصة تزيد من فرص حوارٍ بِنَاءٍ يدفع بالمجتمعات نحو شراكة فاعلة في المفاهيم والآراء. كما تتيح الخبرة الدقيقة والدراية الكافية في شأن معين. وهي أمور، إلى جانب كونها تؤهل الجامعات للقيام بدورها في حوار الحضارات، تعزز من إنجاز عمليات الحوار نفسها لقيامها على احترام الآخر والحاجة إليه والتعايش معه.

4. الدور التعزيزي للجامعات العربية في حوار الحضارات

للجامعات العربية دورٌ مهمٌ في خدمة المجتمع وتطويره من خلال مبادراتها لمناقشة القضايا والمشكلات، وطرح الحلول، وإشاعة الأفكار والقيم بما يعظم من دور المجتمع في المنظومة العالمية.

تشير الدراسات إلى أن هنالك إجماعاً في الوقت الحاضر على تحديد ثلاثة أبعاد للعمل الجامعي. هي صناعة العقل العامل وصناعة المعرفة وخدمة المجتمع (عبد السلام فريوان 2007: 243-277).

وبهذا يمكن للجامعات العربية أن تسهم بفعالية في خدمة مجتمعاتها في تعزيز حوار الحضارات كأحد المُعْضِلَات التي تواجه المجتمع العالمي، من خلال أنشطتها التي تتمثل في التعليم والبحث والتدريب وتقديم الاستشارات.

وبحسب هذه الأنشطة يمكن أن يمثل إسهام الجامعات في موضوع حوار الحضارات في اتجاهين متآزرين هما:

(أ) حوار الداخل أو حوار الذات؛ وهو ما تسهم به الجامعة في تزويد المجتمع بمُخْرَجَات تعمل على إشاعة ثقافته وحضارته، وإكساب أفرادها القيم

والسلوكيات التي تمثل رأي المجتمع في حوار الحضارات وفي غيرها من شئون الحياة.

(ب) حوار الخارج أو حوار الآخر وهو ما تسهم به الجامعة في نقل ثقافة المجتمع وحضارته، إلى الثقافات والحضارات الأخرى وعكس صورته للمجتمعات الأخرى.

وفي الاتجاه الأول يمكن للجامعات أن تعزز من حوار الحضارات كما يلي:

1.4 الحوار كثقافة تنظيمية

إن انتهاج ثقافة الحوار كأساس للتعامل في الوسط الإداري واعتمادها كثقافة تنظيمية للجامعة من شأنها أن تشكل بيئة اجتماعية تشتمل على مجموعة من المبادئ والقيم والمفاهيم والمعتقدات التي يجب أن تسود داخل الحرم الجامعي، وسط جميع العاملين. وبذلك تلعب دور المؤجّه للسلوك، كما تلعب دوراً مؤثراً في عملية اتخاذ القرارات وحل المشكلات التي تواجه رؤساء الجامعات، وعمداء الكليات ورؤساء الأقسام والعاملين أثناء تطبيقهم لهذه المنهجية الجديدة (Bannker 1999:41-52). وبهذا تسهم الجامعة في إكساب سلوك ثقافة الحوار، ليست للحرم الجامعي فحسب، وإنما لجميع أصحاب المصلحة (stakeholders) من عملاء الجامعة، وبالتالي تعزز من نشر ثقافة الحوار في المجتمع عامة، وبخاصة إذا علمنا أن من الأعراض المرصّية التي تنتاب جسد الجامعات العالمية عموماً والعربية خصوصاً تقزّم مرونة الحرم الجامعي العلمية إزاء عوامل التغيير التي تحيط بالوجود الإنساني والمجتمع خاصة (مصطفى عدنان 2007:67). وعليه يعتبر نشر ثقافة الحوار بين العاملين وطلاب الجامعة من أهم المؤثرات التي تعمل على فك هذا التقزّم وعلى زيادة التأثير المرجو من الجامعة على المجتمع.

2.4 الحوار كمنهج تعليمي

تعتبر المناهج التعليمية أحد أهم العوامل التي تشكل سلوك الطالب وتنمي قدراته الثقافية ومنهجه الحضاري. وتدل جودتها على إمكانية إكسابه السلوك المرغوب فيه بافتراض جودة العوامل الأخرى التي تسهم في تشكيل هذا السلوك.

توصف جودة المناهج التعليمية وفق معايير المرونة والتجدد لمسايرة التغيير المعرفي، وملاءمة حاجات الطالب والمجتمع، إضافة إلى قدرتها على ربط الطالب بواقعه وبيئته المحلية. ولذا فإن بناء المناهج على نهج حوارى أمر من شأنه أن يشكل سلوك الطالب وفقاً لمبادئ الاعتراف بالآخر واحترام الغيرية والمساواة. وهي مبادئ تعزز من مفهوم حوار الحضارات.

ولما للمناهج التعليمية من دورٍ في تشكيل السلوك كما ذكرنا، فإن اعتماد حوار الحضارات نفسه كمنهج دراسي من شأنه أن يسهم في تعزيز الحوار؛ بما يكسبه من مفاهيم تشكل سلوك الطالب وبخاصة إذا أخذ المرء في الاعتبار الآراء التي تطالب بضرورة تطوير مناهج الجامعات لنمطيتها، وعدم مواكبتها للتغيرات، وتلبية حاجات المجتمع. حيث ورد في إحدى الدراسات: "إن محتوى البرامج الدراسية المطروحة تكاد تكون متطابقة، ويندر أن تتمايز الجامعات فيما بينها في هذا الأمر، وعلى الرغم من أن هنالك تغيرات ملحوظة في الخطط الدراسية عبر السنوات فإن هذه التغيرات لا تتبع من التغيير في حاجات المجتمع ولم تواكب التغيرات المعرفية والتكنولوجية السريعة في بعض ميادين المعرفة كالإدارة والهندسة مثلاً" (نايف المحياوي 2007:133-177)، الأمر الذي يبين عدم المواكبة بين المناهج وحاجات المجتمع من جانب، وبينها وبين صناعة التكنولوجيا من جانب آخر، الأمر، بما يوجب صياغة مناهج تعليمية تُعزّز من مفهوم حوار الحضارات وتدعم التكنولوجيا كجانب مهم في عمليات تطبيق المعرفة.

3.4 مراكز بحثية لحوار الحضارات

تُعزّز الجامعات العربية من حوار الحضارات بإنشائها المراكز البحثية المتخصصة في هذا المجال التي منوط بها إجراء الدراسات المنهجية، والبحوث العلمية التي يمكن تطبيقها وهو أمر ضروري لأن البحوث العلمية الناجحة هي أصلاً أنشطة منهجية إبداعية ترمي إلى زيادة

الرصيد المعرفي العلمي وتطبيقه عملياً، حيث أصبحت المعرفة أكثر ميلاً إلى الجانب التطبيقي في الوقت الحاضر.

ويتطلب إنشاء المراكز البحثية وقيامها بدور فعال الإنفاق المالي وإعداد الكوادر المؤهلة، والاستفادة القصوى من نتائجها، وهي مرتكزات تعاني ضعفاً في أغلب المراكز البحثية في الجامعات العربية. وعليه فمن غير المستغرب ضعف دور الجامعات العربية في التصدي لمشكلات الأمة، وطرح الحلول لها، إلا أن الجامعات يمكنها أن تعزز من حوار الحضارات بإنشاء المراكز البحثية المتخصصة في هذا المجال، ومعالجة جوانب القصور فيها حتى تسهم بفعالية في الإثراء الثقافي والحوار الفكري.

4.4 إنشاء المكتبات الجامعية

تعتبر المكتبات الجامعية مستودع المعرفة ومراكز قواعد البيانات التي تمد الطلاب والباحثين وغيرهم من طالبي المعرفة بالمعلومات والبيانات. لذا يعتبر إنشاؤها وتزويدها بالمراجع عن موضوع حوار الحضارات تعزيزاً لدور الجامعة في هذا المجال، وذلك لما يمكن أن تسهم به هذه المكتبات في صناعة العقول وتشكيل السلوك.

وحديثاً لا يقتصر دور المكتبات على توفير المقروء من الكتب أو الدوريات العلمي، إنما يمتد ليشمل الوسائل السمعية البصرية، من الأشرطة المسموعة (الكاسيت) والمسموعة المرئية (الفيديو)، كما أخذت المكتبات الرقمية والإلكترونية تتوسع بشكل أكبر، بل في داخل المكتبات التقليدية نفسها كمصادر حديثة وسريعة للمعلومات.

ولوسائل الاتصال الأخرى كالإنترنت مثلاً دور متقدم في إتاحة فرص حوار أكثر نجاحاً بين الطلاب والأساتذة والباحثين مع غيرهم من أقطار أخرى، مما يسهم بفعالية في تعزيز عمليات الحوار وتبادل الآراء والخبرات. لذا فإن تحديث المكتبات وتأهيلها بالتكنولوجيا الرقمية ووسائل الاتصال الحديثة ينقل دورها من دور ريادي إلى مشاركة أكبر في إدارة الحوار، وبناء

قنوات الاتصال بين المنتمين إلى حضارات مختلفة، ويعزز من دور الجامعة في إثراء حوار الحضارات.

5. الحوار مع الآخر

أما بالنسبة للاتجاه الثاني من دور الجامعات في حوار الحضارات وهو الحوار مع الآخر يمكن للجامعات أن تعزز منه بعدة وسائل منها:

1.5 النشر العلمي المشترك

تعزز الجامعات من حوار الحضارات بإجراء البحوث العلمية والدراسات بصورة مشتركة بين المنتمين لحضارات مختلفة، حيث يُجرى هذه البحوث والدراسات أهل التخصص الذين تتوفر فيهم شروط الباحثين العلميين، أو تُجرى هذه البحوث في مراكز علمية نزيهة متخصصة في هذا المجال، وتُنشر نتائج هذه البحوث أو الدراسات، وبخاصة إذا علم المرء أن نتائج البحوث المنشورة من أهم وسائل التطوير، لكونها الخطوة الأولى للتطبيق العملي.

وليس بالضرورة أن تتطابق وجهات نظر الباحثين ونتائجهم في هذه البحوث والدراسات. ولكنها بالتأكيد تشكل فهماً مشتركاً لبعض مواضيع الحوار، وتفتح أبواباً لتبادل الآراء والمفاهيم في البعض الذي لا يتم الاتفاق حوله، الأمر الذي يسهم في تعزيز حوار الحضارات وفتح قنوات الاتصال مع الآخر. ولكن، بالنظر إلى واقع اليوم نجد أن النشر العلمي في الجامعات العربية والمؤسسات البحثية الأخرى يعاني ضعفاً. وبالنظر إلى واقع النشر العلمي في معظم الدول العربية في الفترة 2000 - 2005م يجده المرء لا يزيد عن 10.000 ورقة علمية في كل دولة، مقارنة بما يقرب عن 67.000 ورقة علمية في إسرائيل (ميثاء الشامسي 2007:129-153)، الأمر الذي يبرر تفوق إسرائيل على الأمة العربية جميعاً في هذا المجال.

وإذا كان ما ذُكر يتعلق بالإنتاج الفكري، فإن محتوى هذا الإنتاج ونشره ومدى الاستفادة منه جميعها أمور تعاني من بعض المشكلات؛ إذ نجد أن الدوريات العلمية الصادرة في الوطن العربي تعاني محدودية الإقبال والانتشار. وهي في مجملها أسيرة ما يصطلح على تسميته "غياب الثقافة العلمية" (ليلي غانم 2007:2)، ولا تُستثنى الدوريات التي تصدر من

الجامعات. وهو ما يوضح بجلاء ضعف الجامعات في توظيف هذه الدوريات كأدوات للاتصال والتحاور.

2.5 التوأمة العلمية بين الجامعات العالمية

تعتبر التوأمة من البرامج التي تتواصل بها الجامعات فيما بينها. وتعد الأنشطة التي تقوم عليها برامج التوأمة مجالاتٍ ثرة لتعزيز حوار الحضارات. ومن ذلك التبادل الثقافي العلمي، حيث يقوم العلماء والخبراء باللقاء المحاضرات، أو تُعقد الندوات أو المؤتمرات في موضوع حوار الحضارات؛ وذلك ما سيسهم في نشر ثقافة الحوار بين المنتمين إلى حضارات مختلفة.

لقد ساهمت وسائط التقنية الحديثة في إجراء هذه العمليات بطريقة أكثر يسراً عن طريق مؤتمرات الفيديو (Video conferences)، أو عبر الأقمار الصناعية، أو الاتصال عن طريق البريد الإلكتروني (E-mail)، مما يسهم في إثراء حركة التعاون الثقافي والعلمي. كما تسهم وسائط التقنية الحديثة في تنشيط عملية الحوار، وتتسع برامج أنشطة التوأمة لتشمل الابتعاث للدراسة أو للتدريب، والرحلات العلمية للدارسين أو المتدربين بنقل ثقافتهم وحضاراتهم إلى مجتمعات أخرى، بما يسهم في فهم أفكارهم واحترام آرائهم ويفتح لهم الآفاق لحوار بناء مع الآخرين.

3.5 تشجيع حركة الترجمة والنقل

لقد أدت حركة الترجمة والنقل دوراً علمياً وحضارياً فعالاً عبر التاريخ. ولا تزال تعمل على ربط الماضي بالحاضر والمستقبل. فنُرات الحضارات القديمة تناقلته الأمم عبر العصور بفضل ترجمته إلى لغاتها المختلفة، وعبر إلى ثقافتها المتنوعة ليصل إلينا اليوم، ليكون إثراءً لمختلف جوانب الحياة المعاصرة. ومن ثمَّ فإن الجامعات يمكنها أن تعزز من حوار الحضارات بتشجيعها لحركة الترجمة والنقل من الحضارات المختلفة وإليها، لما يوفره ذلك من آراء وأفكار يمكن فحصها ومناقشتها والإفادة منها.

وعليه فإن حركة الترجمة والنقل من الثقافة العربية وإليها، إضافة إلى دورها المباشر في نقل منتجات الثقافة العلمية، فإنها تلعب دوراً رئيساً في ضخ المعلومات إلى مواقع الإنترنت، وتحديثها بقدر يسهم في توفير مخزون معلوماتي كافٍ لإدارة حوارٍ هادفٍ، يُبنى على معلومات صحيحة، ويقود إلى حقائق علمية تُقضي إلى أحكامٍ عادلة وآراء صائبة، بدلاً عن الاقتراء والتضليل الذي تقوم عليه اليوم كثير من مراكز البحوث والدراسات غير المحايدة ووسائل الإعلام المُوجّه .

تواجه حركة الترجمة والنقل بالجامعات العربية بعض الصعوبات التي يواجهها المترجم العربي عموماً، والتي تتمثل في عدم توفر القواميس والمعاجم اللازمة في المجالات العلمية المختلفة، إضافة إلى عدم توفر هيئات مركزية لتوحيد ترجمة المصطلحات على المستوى العربي، وندرة الأبحاث العلمية الحديثة المكتوبة بالعربية (عزت عامر 2007:155-179). لذلك، فإنه بمعالجة هذه المشكلات، يمكن لحركة الترجمة والنقل بالجامعات أن تلعب دوراً رائداً في تفعيل دور الجامعات كقنوات لإثراء الحوار بين الحضارات.

6. الخاتمة

يعتبر حوار الحضارات أحد أهم الأدوات التي تدخل بها البشرية القرن الحادي والعشرين، وهي أكثر تقدماً في مجال المعلومات والتقنية، اللذين هما من أهم أدوات الثقافة والمعرفة في الوقت الحاضر. لذلك فإن مراكز تنظيم هذه المعرفة وتجسيدها في واقع حياة الناس- ومن أهمها الجامعات- ينبغي أن تجد اهتماماً أكبر، وتركيزاً أكثر لبعث دورها في صياغة حضارة الأمم وثقافتها. إلى جانب ذلك يجب الاهتمام والتركيز على تطوير أداء الجامعات، لا لتؤدي دور صناعة المعرفة وصياغة العقول فحسب، وإنما لتخدم مجتمعاتها بصورة فاعلة. ومن أهم مظاهر ذلك نشرها ثقافة الحوار كهدف ضروري لصياغة المجتمع على مبدأ ثقافي جديد.

7. النتائج

من نتائج العرض السابق ما يأتي:

1. يُعتبر حوار الحضارات ضرورةً إنسانيةً وخياراً استراتيجياً، يجنب البشرية خطر أي صدام ذي قد يكون ذا أبعاد كارثية، التي لا يستفيد منه أحد، إذا ما وقع هذا الصدام لا قدر الله.
2. يحقق حوار الحضارات مردوداً إيجابياً متعدد النواحي على خيارات الأمم والشعوب. كما يحقق غاية الخلق في عمارة الأرض وسنن الخير والنفع للجميع.
3. تشير المعطيات الحالية والواقع البشري المعيشي إلى سيادة مفهوم صراع الحضارات أكثر من مفهوم الحوار بينها.
4. تُعتبر الجامعات بعامة، والعربية منها بخاصة، من أكثر المراكز العلمية والبحثية تأهيلاً للقيام بدور فعال في حوار الحضارات وتحقيق الأهداف المرجوة منه.
5. لا يجد مفهوم حوار الحضارات قدراً كافياً من الاهتمام في أنشطة الجامعات بما يؤهل لتغيير اتجاه الوضع الحالي.

8. التوصيات والمقترحات

في ضوء ما تقدم، فإن الباحث يوصي بالآتي:

1. الاهتمام بدراسة موضوع حوار الحضارات بصورة أكثر عمقاً.
2. محاولة تطبيق الرؤى الواردة في هذا البحث كخيارات تدعم الجامعات العربية في دورها التعزيزي لحوار الحضارات.
3. تحويل هذه الدراسة إلى بحث ميداني تستخدم فيه أداة الاستبانة ليقاس من خلالها مدى توفر الرؤى الواردة في هذا البحث، كأنشطة في الجامعات العربية، تعزز من حوار الحضارات، حتى تستطيع الإجابة على السؤال: "أين نحن الآن من تطبيق مفهوم حوار الحضارات في جامعاتنا؟".
4. ضرورة بلورة قيم حضارية وكونية مقبولة من قبل جميع الأمم والشعوب كفلسفة كونية تُطبَّق على العالم أجمع، وتُسْتَمَد من كل الموروث والثقافات، وليس من قبيل

فرض ثقافة بعينها كما هو سائد اليوم.

5. ضرورة تقدم التيار العقلاني في العالم على التيار المتطرف في جميع الحضارات.
6. التبشير بمقدمات الحوار كاحترام ثقافة الآخر وخصوصيته، ومبدأ التعايش والتعاون في كل المجالات اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

القرآن الكريم

ابن منظور،

ط 1984م لسان العرب، ط 4. القاهرة: دار المعارف.

المفتي، أحمد

2006م الحكم الرشيد في التجربة الدولية. الخرطوم: هيئة الأعمال الفكرية.

عمار، حامد

2007م "الثقافة العلمية واستشراق المستقبل العربي رؤية بانورامية في الثقافة العلمية

واستشراق المستقبل العربي"، الكتاب العربي 7. الكويت: وزارة الإعلام - مجلة

العربي.

الهييتي، عبد الستار

2004م حوار الذات والآخر. الدوحة: وزارة الشؤون الإسلامية.

مصطفى، عدنان

2007م إرهاب الثقافة العلمية العربية، هل إلى انتصار من سبيل؟ في الثقافة العلمية

واستشراف المستقبل العربي. الكويت: وزارة الاعلام.

عامر، عزت

2007م "معوقات انتشار الثقافة العلمية المترجمة في الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي"، **الكتاب العربي** 67. الكويت: وزارة الإعلام - مجلة العربي.

غانم، ليلي

2007م "الدوريات العلمية، إشكالية نشر الثقافة العلمية في الوطن العربي، في الثقافة العلمية الاستشراف المستقبل العربي"، **الكتاب العربي** 67. الكويت: وزارة الإعلام - مجلة العربي.

الhabاب، محمد عزيز

1985م "الحضارة الإسلامية وحضارة التصنيع"، **مجلة الوحدة** 4، سبتمبر. الرباط .

فريوان، محمد

2007م "الجودة في التعليم العالي في الوطن العربي"، **مجلة اتحاد الجامعات العربية** 47 (العدد المتخصص 4). عمان: الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية.

المحياوي، نايف

2007م **إدارة الجامعات في ضوء معايير الجودة الشاملة**. عمان: الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية.

عارف، نصر محمد

1994م **الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة المصطلح ودلالة المفهوم**. فرجينيا: المعهد العالي للفكر الإسلامي.

الإنترنت www.Islam.memo

2007/9/7م **حوار الحضارات الجذور والتاريخ**. الصفحة الرئيسية.

ثانياً: فرنجي

Majer, Bannker,

Total Quality Management in high Education. 3/21. 2 ed New York:

Putnam Publishing Group.